المفعول معه

مقدّمة: قبل الدخول في تعريف المفعول معه وبيان أحكامه يحسن أن نفرق بين واو المعية وواو العطف من حيث الدلالة:

_ إن فكرة المعية تقوم في أساسها على استخدام الظرف (مع)، كقولنا: (سافرت مع أخي) (وصلنا مع الفجر) (مشينا مع سور الحديقة)

والمعنى الذي يؤديه الظرف (مع) هو المصاحبة، ونعني بها الاقتران الزماني أو المكاني، وهذه المصاحبة قد يخالطها مشاركة (قيام الاثنين بالعمل نفسه) كما في المثال الأول، لكنها إن وقعت ليست مقصودة.

_ هذا الظرف (مع) يمكن أن تحلَّ محلّه (واو) تساويه في الدلالة تُسمَّى واو المعية، ولو عدنا إلى الأمثلة السابقة لأمكننا أن نضع مكان (مع) الواو: (سافرت وأخي) (وصلنا والفجرَ) (مشينا وسورَ الحديقة) .

هذه الواو أيضاً تدلّ على المصاحبة (زماناً أو مكاناً)، وليس من الضروري أن يتشارك ما قبلها وما بعدها في الحكم، فإن وقعت مشاركة فهي غير مقصودة، اقتضاها السياق.

_ أما واو العطف فقد وُضعت أصلاً للدلالة على المشاركة أو الجمع، بمعنى أن ما قبلها وما بعدها يجب أن يتشاركا في الحكم، وليس من الضروري أن يتصاحبا، مثال ذلك قولنا: (قام زيد وعمرو)، أي: وقع من كليهما قيام، واشتراكهما في القيام قد يرافقه مصاحبة، لكنها ليست المقصودة.

ولذا كان ضابط العاطفة صحة تكرار العامل فقط، نحو: (قرأت الكتاب والمجلة)، (أعملُ صباحاً ومساءً)، (نجحتُ في النحو والأدب).

_ فكيف تتحول العاطفة إلى معيّة: حين نقول: (جاء زيدٌ وعمرٌو) فالواو ههنا عاطفة، ودلالة العبارة تحتمل ثلاثة أوجه: (أن يكون زيد جاء أولاً، أن يكون عمرو جاء أولاً، أن يكونا جاءا معاً)، فإذا أردنا تقييد دلالة الواو بمعنى المصاحبة فقط، نصبنا ما بعدها: (جاء زيدٌ وعمراً)، وتسمَّى حينئذ واو المعيّة.

إذن واو المعية في الأصل هي واو العطف، لكن قُيِّدت دلالتها بمعنى المصاحبة فقط، وعليه إذا أردنا التنصيص على المعيّة نصبنا، وإذا أردنا الدلالة على المشاركة عطفنا.

تعريف المفعول معه:

اسـمٌ، فَضْـلَةٌ، يُذكَر بعد واو بمعنى (مع)، وهذه الواو تتقدَّمها جملةٌ فيها فعل أو اسـم يشـبه الفعل، نحو: (سرتُ والجبل)

هذا التعريف يتضمّن أموراً (هي في الحقيقة شروط المفعول معه):

١ـ المفعول معه اسمٌ، وبهذا القيد يخرج من التعريف شيئان:

أ ـ المضـارع المنصـوب بعد واو المعيّة، كما في: (لا تأكل السـمكَ وتشـربَ اللبنَ)، فإن الواو هنا للمعيّة، لكن ما بعدها لا يُعرَب مفعولاً معه، لأنه فعل لا اسم.

ب ـ الجملة الحالية المصدّرة بـ (واو)، كما في نحو: (جئتُ والشمسُ طالعةٌ)، فالواو حالية، وهي لا تخلو من معنى المصاحبة والمعيّة، لكنّ ما بعدها لا يُعرَبُ مفعولاً معه لأنه جملة.

٢ـ المفعول معه فضـلة: الفضـلة هي الزيادة، أي أن معنى الكلام لا يتوقف على ذكر المفعول معه، فعندما أقول: (مشيتُ والسورَ) بإمكاني أن أقول: (مشيتُ)

لكن النحويين أرادوا بقولهم: (فضلة) إخراج الاسم الواقع بعد الواو في صيغتي (تَفَاعَلَ) و(افْتَعَلَ)الدالّتين على المشـاركة، نحو: (تشَارَكَ زيدٌ وعمرٌو) و(اخْتَصَمَ زيدٌ وعمرٌو)، صحيح أن الواو هنا لا تخلو من معنى المشاركة لكن فاعل المشاركة متعدّد (هو مجموع المتعاطفين)، فما بعد الواو عمدة لا فضلة.

٣ـ يُذكَر بعد واو بمعنى (مع): أي ينبغي أن تدل الواو على المصاحبة فقط، وبذلك تخرج الواو الدالة على المشاركة فقط، في نحو قولنا: (جاء زيدٌ وعمرٌو قبله أو بعده)، وفي نحو: (قرأت الكتاب والصحيفة)

٤ ـ تتقدمها جملة: وبذلك يخرج الاسم الواقع بعد مفرد، نحو: (أنتَ وشأنُكَ) (كلُّ عاملٍ وعملُه).

٥ـ فيها فعلٌ أو اسم يشبه الفعل: فيه إشارة إلى أن المفعول معه يأتي بعد جملة فعلية، أو اسمية تشتمل على اسـم يشـبه الفعل، وقد مثَّل المتأخِّرون لما يشـبه الفعل بنحو قولهم: (أنا سائرٌ والنيلَ). (والأقرب أن يُراد به تلك الألفاظ التي تحمل معنى الفعل، مثل: حسبُكَ وزيداً، مالَكَ وزيداً، كيف أنتَ وزيداً، وهذا هو المفهوم من كلام سيبويه)

أحكام الاسم المصاحب للواو:

قد تلتبس الواو العاطفة بواو المعيّة، ولذا حدّد النحويون حالات الاسم المقترن بالواو على النحو التالي:

١ _ وجوب العطف. ٢ _ رجحان العطف. ٣ _ وجوب المعية. ٤ _ رجحان المعية. ٥ _ فساد العطف والمعية.

١ _ وجوب العطف: وذلك إذا اختلّ أحد الشروط الواردة في التعريف:

_ أنتَ وشأنُكَ، كلٌّ عاملٍ وعملُه (لعدم تقدُّم جملة)

_ تشارك زيدٌ وعمرٌو (الاسم الواقع بعد الواو عمدة)

_ جاء زيدٌ وعمرٌو بعدَه (انتفاء المصاحبة)

٢ _ رجحان العطف: هذا القسم ذكره ابن هشام، ومؤدَّى كلامه أنه إذا أمكن العطف _ بلا إخلال بالمعنى ولا إضعاف للتركيب _ فالعطف أولى وأرجح، لأنه الأصل، نحو: (رأيت زيداً وعمراً)، (درس سعيدٌ وخالدٌ)، ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ (البقرة/ ٣٥)، (سار الأميرُ والجيشُ).

٣ _ وجوب المعيّة: لفساد العطف، وفساده من أحد وجهين:

أ _ من جهة المعنى: نحو: ماتَ الرجلُ وطلوعَ الفجرِ

فالواو هنا لا تدلّ على مشاركة، لأن المشاركة على نيّة تكرار العامل، ومثله: (مشيتُ وسورَ الحديقةِ)، (سافرَ زيدٌ والليلَ)، ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ﴾(يونس/ ٧١)، وقول الشاعر:

ذريني ونفسي أمَّ حسانَ إنَّني بها قَبْل ألّا أملكَ البيعَ مشتري

ب _ من جهة التركيب (أو الصناعة): نحو: (مالَكَ وزيداً؟) فالواو لا يصحُّ جعلها عاطفة، فلا يجوز أن نقول: مالكَ وزيدٍ؟ لأن العطف على الضمير المجرور يقتضي إعادة الجارّ، فإذا عطفنا وجب أن نقول: مالكَ ولزيدٍ، كما قال تعالى: ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ﴾(فُصِّلَت/ ١١) ﴿وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ﴾(المؤمنون/ ٢٢).

ومثله في امتناع العطف ووجوب المعيّة قولنا: أحسنت إليه وأخاه.

٤ _ رجحان المعية: لضعف العطف، وضعفه أيضاً من أحد وجهين:

أ _من جهة المعنى: وقد مثّلَ له ابنُ هشام _ تبعاً لابن مالك _ بقول الشاعر:

فكونوا أنتمُ وبني أبيكم مكانَ الكُلْيَتَينِ منَ الطِّحال

وإنما كان العطف ضعيفاً لأنَّ الشاعر لا يأمر بني الأب، بل يأمر المخاطَبين أن يكونوا مع بني أبيهم _ أي مع إخوتهم _ متماسكين مترابطين ترابط الكليتين مع الطحال.

ب _ من جهة التركيب: نحو: (جئتُ وزيداً)

فجعل الواو هنا عاطفة ضعيف، لأن العطف على الضمير المرفوع يقتضـــي على الأكثر وجود فاصل بين الضمير والواو نحو: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ **، والعطف بلا فصل قليل.**

٥ـ فساد المعيّة والعطف: نحو:

عـلـفـتُـهـا تِـبـنـاً ومـاءً بـــــارداً حتـى شَـــتَـــتْ هـمَّـــالـــةً عـيـنـاها

فالعطف لا يصح لأن الماء لا يُعلَف، والمعيّة غير جائزة لأن الماء لا يصاحب العلف.

وفي توجيه ذلك وجهان:

أ ـ تقدير فعل محذوف قبل المعطوف: (علفتها تبناً وسقيتها ماءً)

ب ـ تضمين (علفتها) معنى (أعطيتها)، أي: أعطيتها تبناً وماءً.

_ انتهت المحاضرة _